تجليات الهـويـة المخالفة في شعر الشنفرى

المدرس المساعد
محمد سالم فرحان
مديرية تربية البصرة

الاستاذ الدكتور
جنان محمد عبد الجليل
جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص:-

يحمل شعر الصعاليك بشكل عام ، وشعر الشنفرى على وجه الخصوص ملامح تكوين هوية مخالفة للهوية القبلية ، تقوم على اخلاقيات جديدة تعارض وتخالف تلك التي وضعتها الثقافة القبلية ، فالشنفرى يمارس الرفض والتمرد على كل القيم التي لاتنسجم مع حريته متخذا لنفسه التزامات مثلت صورته الشخصية وبطاقته الخاصة لتعريف الاخر على ذاته المتصعلكة ، فضلا عن مخالفته للقيم الفنية في جوانب عدة ، وسبب ذلك كله يعود الى الثورة التي ظهرت اثارها على حياته العملية والفنية على حد سواء .

The manifestations of the identity of the violation in the hair Shnfri

Asst.Lecturer. Mohamed Salem Farhan
Directorate of Education in Basrah
Prof . Dr.Jannan Mohammed Abdul Jalil
University of Basrah / College of Arts

Abstract:

Al-Shanfari, in particular, has the characteristics of forming an identity that is contrary to tribal identity, based on new ethics that contradict and contradict those established by tribal culture. Al-Shanfari practices rejection and rebellion for all principles that do not conform to his freedom. As well as the violation of the principles of art in many aspects, and the reason for all this is due to the revolution, which has raised its effects on both his career and artistic life.

(الهوية المخالفة ومبررات وجودها عند الشنفرى)

توطئة :-

فالهوية المقصودة ـ هنا ـ هي التي تمثل انفصال الفرد كلياً عن القبيلة ، والخروج على قيمها وأنساقها ومهاجمتها ، فهي " إدراك الفرد لسماته الفردية التي تكون هويته الخاصة وتشكلها"[١] ، وتؤثر في بناء تصور الفرد عن نفسه وعن قدراته وتصوراته ومواقفه الخاصة بجنسه وإمكانيات تأكيد الذات ، وهذا قمين بظهور وعي لدى فرد ما بخصوصيته من جهة ، وباختلافها عن الآخر من جهة ثانية ، فالهوية تولد من إدراك الاختلاف ، اختلافًا واضحاً تجلى في صورة مطالبات جديدة لم تعتدها القبيلة من شعرائها ، وتتكون في المجابهة والصراع ، لذلك فهي لا تتكون مرة واحدة ولكنها في عملية تكوّن دائمة ، داخل الجماعة الواحدة أو الجماعات المختلفة ، بأنساق جديدة قائمة على التناقض والاختلاف أشعلت حالة الصراع بين الصعلوكي والقبلي[٢] ، حتى وصل الأمر إلى الانتقام والمنافسة والصراع المسلح في الغالب الأعم ، الذي يشتد كلما تجاوز الفرد حدود القبيلة التي اعتنت بتنظيم رغبات الفرد وأهوائه ، والتسلط عليها وضبط نشاطها ، فالفرد لا يؤمن ببعض العقبات والاعتراضات التي تقيمها القبيلة حكراً على سلامته وبقائه ، هو يؤمن بأخلاقيات وجماليات مبنية على الشعور بالحرية والانفلات واثبات الهوية والذات وإعلاء صوت الغريزة ، بينما تؤمن القبيلة بأخلاقيات وجماليات مبنية على الشعور بالموانع والعوائق لأن القبيلة تسعى إلى بناء هوية تقصي روح المبادرة، ولا تسعف كثيراً في بناء هوية الإنسان ، بغية تأسيس وتكريس وترويج تمثل مشوش وملتبس لهوية خلاسية (منقحة ومزيدة) ، ومفارقة زمنياً ، وذلك في أفق توجيه الفرد نحو ضبط مركزه ، وتكييف أبعاده ، لتستجيب وتتجاوب مع طرح رسمي لهوية معيارية منفلتة عائمة عاجزة عن استجلاء حقيقتها وغير متجانسة مع روح العصر[٣] ، فتحقيق الهوية " هو ثقة الفرد بقدرته على الاستمرارية في تقدير الذات والمثابرة الدائمة من قبله ، لتتطابق رؤيته لنفسه مع رؤية الآخرين له بما يؤدي إلى معرفته لقدراته وتوافقه النفسي والاجتماعي"[٤] ، وفقدان هذا التوافق ينتهي بالفرد عادة إلى أن تكون صلته بمجتمعه قائمة على أساس

السلوك الصراعي ، لأن في كل مجتمع تيارين متضادين ، فحين يكون "من البديهي أن نرى الاستقرار مؤشراً دالاً على التوافق الاجتماعي ... فإنه من البديهي أيضاً أن نرى الفعل المعاكس ـ أي : الهجر والرحيل ـ مؤشراً دالاً على أحوال عدم التوافق الاجتماعي والنفسي وأهم من ذلك على أنماط مرضية في التكوينات النفسية لممثلي هذه الفئات المميزة"[٥] .

تجليات الهوية المخالفة في القيم الاجتماعية :

إن الشنفرى أهم ممثلي هذه الفئة ، الذي يعد أشهر من يمثل الانفصال والإنبتات الحاد عن القبيلة ، على أن عملية الخلع هذه المرة ، تمت من طرفه لا من طرف قومه ، فهو الذي غادرهم ناقماً على استهتارهم بإنسانيته ، إذ كان يعيش عزلة نفسية من حيث انفصاله الكلي عن قبيلة الأزد ، التي تحولت بعد مقتل والده من صديق إلى عدو لدود ، ثم ازدادت الفجوة بين الطرفين بعد الإهانة التي لحقت بالشاعر من سلامان بن مفرج ـ وهم فرع من قبيلته ـ الذي أيقظ في نفسه الإحساس بضعة المقام وبواقع مرير أهدر آدميته ، وتضاءلت فيه قيمته[٦]، وإثر ذلك قرر الخروج من المجتمع البشري بما فيهم قومه " كافراً بأواصر الرحم التي تربطه بهم ومضمراً الشر لهم"[٧] ، منذ أن أعلن الخروج والانفصال في مطلع اللامية ، إذ يقول :

(الطويل)

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُـدُورَ مَطِيِّـكُمْ فَإِنِّي إلى قَـوْمٍ سِواكُـمْ لَأَمْيَلُ[٨]

إن الشاعر بتصويره لنزعته الانفصالية يؤكد ذاته ، وهذه النزعة نتجت عن إحساس بالضيم والغربة النفسية ، فهجر بصرخة قوية (فإني إلى قوم سواكم لأميل) انبعثت من أعماقه يرفض من خلالها البقاء في كنف القبيلة ، وهذا يحدث في مجتمع قبلي تحدد القبيلة هوية أفراده ، وحين يفقد الفرد هذه الهوية أو حين تتحول هذه الهوية إلى شبح جاثم على الصدر، تحاول الذات ـ رغبة في اجتياز أزمتها ـ بناء هوية مخالفة للهوية القبلية، والهروب من هذا المجتمع إلى المنائي البعيدة ، والأماكن المنعزلة .

وقد خسرت قبيلة الشنفرى كثيراً بهذا الموقف ، إذ يبدو أنها لم تحسن قراءة المستقبل بشكل جيد ، حين ظنت أن هذا الغلام الأسود البشرة ، لن يكون له شأن يذكر في مقبل الأيام ، عندما آثرت اهانته والتخلي عنه ، فإذا به ينقلب ذئباً يفتك في أبنائها[٩] ، لا في أعدائها.

هذا التخلي المبكر من لدن قبيلته أورثه ـ إلى جانب الحقد والرغبة في الانتقام ـ إحساساً باللامبالاة ، وتبنيه طرقاً ووسائل في الحياة تختلف عما هو متعارف عليه وسائد في النظام القبلي ، فكان الخروج على قيم هذا النظام والثورة على أنساقه ومخالفتها ، يعني تأسيساً لهويته/المخالفة القائمة على القيم التي يؤمن بها الصعلوك ويتسلح بها من أجل تغيير البنية المجتمعية في مستوياتها العامة .

وهذا الإحساس باللامبالاة جعله يضرب صفحاً عن مقدسات القبيلة ومحرماتها ، ففي الوقت الذي تلتزم فيه القبائل والأفراد بحرمة الأشهر الحرم[١٠] ، كما التزم بها صديقه (تأبط شراً)[١١] ، يعمد الشنفرى إلى الاقتصاص من قاتل والده حزام بن جابر في الشهر الحرام وفي البيت الحرام ، فقد " قيل له هذا قاتل أبيك ، فشد عليه فقتله" [١٢] وقد ترجم شعره ذلك بقوة ، فقال مفتخراً بذلك :

(الطويل)

قَتَلْنَا قَتيلاً مُحْرِماً بمـلبدٍ جِمارَ مِنًى وَسْطَ الحَجيجِ المُصَوِّتِ

جَزَيْنا سَلامَانَ بْنَ مُفْرِجِ قَرْضَها بِمَا قَدَّمَتْ أيْديهِمُ وَأزَلَّـتِ[١٣]

المتأمل في هذا النص يرى الهوية المخالفة التي تشعر الشنفرى بقوة التمرد واللامبالاة لأعراف القبيلة والمجتمع عموماً ، فهو ثائر متمرد على القبيلة وقيمها يرفض ما تقرره وما تؤمن به ، فيفعل ما تنكره ويقتص من قاتل والده في الشهر الحرام ، فيتجاوز بذلك الانتهاك والمخالفة إلى المحرم دينياً ، إذ قام على تحليله ولم يوار جريمته، بل افتخر بانجازه المضاد والمخالف (قتلنا قتيلاً محرماً...) ، فاختار أكثر الأزمنة قداسه عند العرب وهو زمن الحج أو الطواف[١٤] ، ورصد عدوه واقتص منه في المكان المقدس (منى) مما يؤكد شدة المخالفة والإنبتات عن قيم الجماعة باختيار" قاتل أبيه في هذا المكان ، ليؤكد أنه لم ينضوِ ولن يعود للانضواء تحت هذه الجماعة ، ولاسيما أن العودة للانضواء

تقتضي تبجيل المقدس ، وليس انتهاكه"[١٥]، وصور اللحظة الأكثر قداسة والأكثر روحانية في نفس المقتول حينما كان يجهر بالتلبية لأداء مناسكه (وسط الحجيج المُصوِّت) ، وجاء باسم الفاعل (المُصوِّت) ، ولم يقل(لبى) لأن التصويت يتفاعل معه الناسك وغير الناسك ، بما يشي من دلالة على التضعيف من المبالغة في إيصال الصوت ، وبما هو حالة نداء مغرية بالانتباه[١٦]، كما أن الظرف (وسط) يعمق تفاعل المقتول مع نسكه واندماجه بروحانية اللحظة ، وهذا يضاعف من شدة الانتهاك ، ليفتك الشنفرى بتلك القيم ويهدمها في لحظاتها المقدسة ، وكأن ما عرضه لم يشكل دافعاً للاندماج مع هذا الجمع (الحجيج) ، بل شكل دافعاً محرضاً على الخرق لا مانعاً ، كما أن هناك محرماً عرفياً انتهكه أيضاً ، حيث قتل رجلاً أعزل من دون أن ينبه ، وتتابع هذه المقدسات والتصريح بكسر حرمتها يدل على أن هدفه ليس مجرد الثأر لوالده ـ على الرغم من تأصل هذه العادة (الثأر) في نفوس الجاهليين ـ وإنما كان هدفه مخالفة القبيلة بتدمير كل مقدس في منظومتها ، حتى وصل الأمر به إلى الافتخار والتلذذ بكسر هذه القيم والاستخفاف بها دون أن يجد غضاضة فيما يصنعه ، فغدا بطلاً مضاداً مخالفاً للقبيلة وأنساقها ، ومسقطاً بقناعة تامة هوية الانتماء (القبلية)، وهذا بدوره يؤدي إلى التحرر من الأنساق القبلية ، وتكوين أنساق جديدة تناسب أو تتفق مع هويته المخالفة ، لأن للأنساق المختلفة دوراً كبيراً في تشكيل هوية/فردية/مخالفه تميزه عن بقية أفراد جماعته ، يقرر بناء صلاته وانتماءاته المختلفة عليها[١٧] ، وتحقيق هذا الأمر يحتاج إلى قوة دافعة تدفع صاحبها إلى عمل أي شيء للوصول إلى تحقيق أهدافه فلجأ إلى القوة ، لأن " القوة تفتح أمام صاحبها أبواباً كثيرة من الإدراك ، وأبواباً كثيرة من الآمال والأهداف ، وأبواباً أخرى من الإحساس بأشياء قد لا يحس بها غيرهم"[١٨]، والشنفرى رأى أن أعرافهم ومبادئهم خاضعة لمنطق القوة والمنفعة الذاتية ، فهو يؤدي (قرضا) " فكما قتلت هذه المجموعة الشنفرى اجتماعياً ، قتل الشنفرى من تسبب بهذا العزل (قاتل أبيه) بالقتل"[١٩]، فالأقوى هو من يشرع ويضع الخطوط العريضة " فالقوة المفرطة لا بد لها من قوة مضادة تناسبها ، هنا شكل خروج الصعلوك على القبيلة الوجه الآخر المختلف ،

الـذي لا بـد مـن تـوافره ، لتنـتج معادلـة الحيـاة الطبيعيـة القائمـة على التنـاقض والاختلاف"[٢٠].

وفي موقف آخر يقابل الشنفرى المعتقد الديني (القبلي) بالسخرية والاستهزاء ، وكأنه يؤكد انفصاله عن الجماعة وخروجه على معتقدات المجتمع وقوانينه ، فيسخر من إلهِهم الذي يقامر بمصائرهم ، إذ يقول :

(الطويل)

وإنّ أَمْرَأً قَدْ جارَ سَعْدَ بْنَ مالِكٍ عَليَّ وأثْوابِ الأَقَيْصِرِ يَعْنُفُ[٢١]

إن الشاعر يمس المعتقد الديني (القبلي) بالسخرية والاستهزاء ، وهو ما يؤكد نزعة التمرد والهوية المخالفة التي عرف بها ، حتى لو كان ذلك على الجانب المعتقدي ، فهو لا يحلف بالإله بل بأثوابه ، والأكثر من ذلك أنه يذكره بصيغة التصغير (الأقيصر) ! ، مما يقلل من قيمة الرمز الديني القبلي بتصغيره وتحقير شأنه ، ويكشف في الوقت ذاته عن مخالفته وسخريته لكل ما هو قبلي ، فهو لا يذعن إلا بما يؤمن به عقله ويقتنع به "فالشنفرى يؤسس في خطابه لشخصية منعتقه من الأسيجة القبلية ، لأنه لا يجد مبرراً لخضوعه لأشكال الوصايا ، ويؤكد كتابة الحرية ، وحرية التعبير، إيماناً بقدرة الحرية على تحرير النفس العربية مما علق بها من مفاهيم مغلوطة تشوه إنسانيتها"[٢٢]، فالحرية هي جوهر التعارضات وجوهر الصراع الطبقي ، وهي جوهر الإنسان وماهيته ، وهذا بدوره يؤدي إلى أن الوعي بالهوية المخالفة يظل ويفرض معناه دوماً من خلال جلب نقيضه ومضاده على الدرجة نفسها من الحرية التي تحمل في طياتها كل ثورة الاختلاف بين الأفراد والجماعات ، التي تعد نبع الحياة الاجتماعية الثر ، الذي يجعل هذه الحياة قابلة للنمو والتطور والتحسن وفيها تتكون ملامح هوية الفرد ونواتها ، أي ذاتيته وحريته واستقلاله ولا تتجلى هذه إلا في حرية الفرد[٢٣].

وهذه الحرية التي يطمح إليها الشنفرى تدفعه إلى التعبير بحرية في مخالفة الأعمال الفرعية التي توكل للعبيد والضعاف والمحتاجين ورفضها ، التي يأنف منها الأحرار وأصحاب الهمم العالية ، لما فيها من ذل ومهانة تشمئزها النفوس ، كما تقوده إلى نفي

الصفات السلبية ، التي وضعتها الثقافة العنصرية لأمثاله من أبناء الإماء/ الأغربة والعبيد ومن ذلك قوله :

(الطويل)

وَلَسْتُ بِمِهْيافٍ يُعَشِّي سَوامَهُ مُجَدَّعَةً سُقْبانُها وَهْيَ بُهَّلُ
ولا جُبَأ أَكْهى مُرِبٍّ بِعِرْسِهِ يُطالِعُها في شَأْنِهِ كَيْفَ يَفْعَلُ
ولا خَرِقٍ هَيْقٍ كَأَنَّ فُؤادَهُ يَظَلُّ بِهِ المُكَّاءُ يَعْلُو ويَسْفُلُ
ولا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَروحُ وَيَغْدُو دَاهِناً يَتَكَحَّلُ
وَلَسْتُ بِعَلٍّ شَرُّهُ دُونَ خَيْرِهِ أَلَفَّ إذا ما رُعْتَهُ اهْتاجَ أعْزَلُ
وَلَسْتُ بِمِحْيارِ الظَّلامِ إذا انْتَحَتْ هُدَى الهَوْجَلِ العَسيفِ يَهْمَاءُ هُوجَلُ
إذا الأمْعَزُ الصَّوّانُ لاقى مَناسِمِي تَطَايَرَ مِنْهُ قَادِحٌ وَمُفَلَّلُ[٢٤]

يمعن الشنفرى في سياسة المخالفة من خلال نفي علاقته بالآخر/ القبلي ، بأساليب لغوية تقابل بين الأنا والآخر، تأسيساً لهويته المخالفة " فالشعور بالاختلاف يعد أساساً من أجل وعي الهوية ونموها"[٢٥]، فيرفض الأنساق الدونية والصفات السلبية التي وضعتها الثقافة القبلية (للأنا) ، فيستعمل النفي بـ (لست ، ولا) الذي يكرره في معظم الأبيات في محاولة لإبعاد تلك السلوكيات السيئة عن الذات وإلصاقها بالخصم بطريقة ما " فأدوات النفي التي تتصدر الأبيات تحيلنا إلى معنيين عكسيين ظاهر وباطن ، فالظاهر يحمل نفي الصفة عن الشاعر أما الباطن فيحمل إثبات الصفة نفسها لغيره من الذين استسلموا لوصاية النظام القبلي"[٢٦]، فيقوم الشنفرى بإسباغ حلة من المزايا والخصال الفريدة على الذات الشاعرة (لست بمهياف، ولا جبأ أكهى، ولا خرق هيق ، ولا خالف دارية، ولست بعل ألف، ولست بمحيار...) ، فهو ليس(بمهياف) أي الراعي الأحمق الذي يبعد بأبله في طلب الرعي على غير علم فيهلكها ، وربما هذا (المهياف) يرمز إلى شيخ القبيلة الذي يستنكف الشنفرى من أن يكون أحد أتباعه ، "وعندما يقول : ولست بمهياف ، فهو يبين أنه لو تحقق له حلم القيادة فلن يكون ذلك القائد الذي يقود أتباعه إلى المرعى بغير هدى"[٢٧]، فكأن الأنا " كي ترسم ملامح هويتها تحتاج إلى مرآة ترى فيها

صورة الآخر بدل صورتها ، ليتم على أساسها وضع التفاصيل المضادة للصورة المرئية"[٢٨]، ولا هو بالجبان الأكلف الوجه الكدر الخلق (ولا جبأ أكهى مرب بعرسه...) المقيم عند زوجته لا يبارحها يطالعها بأسراره ويشاركها في أموره الخاصة ولا هو بالجبان كالظليم والمكاء ينفر من الصوت ، (ولا خرق هيق كأن فؤاده ...) ولا بليداً خمولاً كالعاطل الذي لا يبارح زوجته وأهله (ولا خالف دارية متغزل) يشارك النساء زينتهن وغيرها (يروح ويغدو داهناً يتكحل) ويتشبه بهن ، وبنفي الشنفرى هذه الصفة عن نفسه ، يثبت لنفسه ضمناً الرجولة ، فهو ينفي عن ذاته كل ما يمكن أن يلحق بها العيب أو النقص ليثبت لنفسه الصفات المضاده لها وليوصلها إلى أقرب حد ممكن من الكمال والاكتمال ، وهي صفات الزعامة والفروسية فهو ليس قعيد البيت بل يمتاز بالغزو والإغارة على الأعداء ، وعدم التردد والشجاعة في اتخاذ القرار(ولست بمحيار الظلام ...) فالنفي هنا يؤدي وظيفة جادة لإقناع الآخر/ المجتمع ، الذي يرى في الصعلوك خلاف تلك الصفات كلها ، فيقوم الشنفرى بهدم ومخالفة الصفات ، والقيم التي وضعها الآخر/القبلي والتحرر منها والتعالي عليها ، فهو كسبع الفلاة يتطاير الحصى تحت قدميه أثناء جريه (إذا الأمعز الصوان لاقى مناسمي ... تطاير منه قادح ومفلل) ، مما يدل على أمرين: أنه قوي في تمرده وفي انسلاخه عن المجتمع ، وبين إيمانه بقيمته واعتداده بذاتيته، ومن ثم بناء قيم جديدة وصفات تشعره بشجاعته وثباته ورجولته ورأيه المتفرد.

وبالاعتماد على تلك الحجج الذي حققت فيه (الأنا) أعلى مراتها من خلال الجدل مع الآخر والتي تعد دعامة أساسية حقق الشنفرى بوساطتها إستراتيجية التجاوز، تجاوز الألم النفسي ، وتجاوز أخطاء (الآخر) وتجاوز التقاليد ، " فالشخصية المتمردة تعارض كل أشكال السلطة وتشكل مصدراً للسلطة بذاتها ، ولا يمكنها أن تأخذ بعين الاعتبار الإكراه الطبيعي الذي يفرزه الواقع ، إذ يتميز فعل الشخص بالنزعة النقدية والتدميرية"[٢٩]، فهذه الفكرة الجديدة لعلاقة الإنسان بالثقافة " تتجاوز الدلالة الموروثة في المخيال الجمعي وتسمو بالإنسان ، فلا تبدو قيمته مرهونة بالمحافظة على تقاليد

الجماعة ، وأنساقها وحمايتها بل بالإيمان بقدرة الإنسان على تغيير هذه الأنساق وتفكيكها"[٣٠]، على النحو الذي يعلي فيه من إثبات هويته المخالفة.

والصعلوك بهذا الموقف يتصدى لكل ما هو ملزم وإجباري ، لأنه في الأصل يرفض الالتزام والانصياع ، ومادام لا يملك القدرة على تغيير المجتمع فليس أمامه سوى الرفض والتمرد "رفض القيم التي لم تعد تنسجم وطموحات الفرد وحريته"[٣١]، والتمرد على تشكيل القيم المرفوضة المتجسدة في هذه الجماعة ، لأن في كل فرد نزوعاً أصيلاً إلى الحرية أشبه بالقوة النابذة التي تدفعه بعيداً كي يدور حول شمسه الخاصة من خلال التعارض ، فالتعارض هو مصدر الحياة وينبوعها وأصل كل صيرورة وتقدم ، لا الهوية الثابتة الميتة ، وهذا التعارض هو الذي يجعل الفرد ميالاً لا إلى الخضوع والامتثال ، وإلى تحقيق هويته واستقلاله وحريته الإيجابية التي يتغير معناها بحسب درجة وعي الإنسان وتصوره لنفسه كائناً مستقلاً ومنفصلاً [٣٢] .

وتظهر هويته المخالفة في التخلص من القبيلة ومن كل ما يتعلق بها من أدوات بما في ذلك (التنعل) ، ومن ذلك قوله :

(الطويل)

ونَعْلٍ كَأَشْلاءِ السُّماني تَرَكْتُها عَلى جَنْبِ مَوْرٍ كالنَّحيزَةِ أغْبَرَا[٣٣]

ويقول أيضا مختار التخفف من النعلين:

(الطويل)

وَخَرْقٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بعامِلَتَيْنِ ظَهْرُهُ لَيْسَ يُعْمَلُ[٣٤]

ويقول موضحاً حاله نافياً عنه التنعل :

(الطويل)

فإمّا تَرَيْني كَابْنَةِ الرَّمْلِ ضاحياً على رِقَّةٍ ، أحْفَى ولا أتَنَعَّلُ[٣٥]

يخالف الشنفرى القبيلة فيطرح العناصر التي يتشبث بها الفرد القبلي ومنها التنعل فيطرح حذاءه وملابسه ، مثلما يطرح الناقة والفرس ، وكأنه يبحث عن المواجهة العارية

مع الواقع ، فيخلع لباس القبيلة ، ويلبس لبوس الصعلكة ، تعزيزاً لهويته المخالفة ، التي هي إعادة إنتاج وإعادة تفسير دائم للقيم والرموز التي يعرف بها ويتميز ، فالهوية المخالفة تمثل " قوة رمزية قادرة على المقاومة وطرح البدائل"[٣٦] وهي متولدة عن الحاجة للدفاع عن الذات ضد أي عنصر مهدد ، سواء أكان التهديد حقيقياً أم افتراضياً ، نتيجة للتحديات[٣٧]، التي كانت تعترضه ، فكان يرى في التنعل ـ شأنه في ذلك شأن الصعاليك ـ شيئاً يعوق حركته ويسبب له العجز ويقيد حريته في الجري ، ورأى في التخلي عنه شيئاً يساعد على سرعة العدو ، حتى وصل به الأمر إلى أنه لا يغير إلا على رجليه[٣٨]، وكما اختار هويته المخالفة بديلاً للتخلي عن الهوية القبلية ، اختار نعلاً خاصة تميزه وتفرده عن الفرد المنضوي في قبيلته ، فاستعمل الصبر بديلاً لذلك ، كما يقول :

(الطويل)

فَإنّي لَمَوْلَى الصَّبْرِ أجتابُ بُـزَّهُ على مثْلِ قلْبِ السِّمْعِ ، والحَزْمَ أنْعَلُ[٣٩]

إن الشاعر ـ في البيت ـ يستعمل الصور الغريبة ، إذ يعمد إلى تحويل المعاني المجردة (الصبر والحزم) إلى أشخاص وأشياء ، فالصبر يبدو شخصاً يتحالف معه (فإني لمولى الصبر) وثوباً ونعلاً يرتديه (أجتاب بزه ... والحزم أنعل) بعد أن تخفف من الثياب التي هي جزء من مقتنيات القبيلة ، فبالصبر أظهر الصعلوك تحدياً تجاوز من خلاله منافذ لا تنقصها براعة الابتكار من خلال إظهار القدرة على التجلد والصبر ، لمواجهة هذا النقص والضياع ، بطريقة يظهر فيها قدرته على معالجة الأمور ، لأن " الصبر عتاد العربي ووسيلته لتجاوز صعوبة العيش وضنك الأيام وسلاحه القوي المؤثر الذي يضيف إلى شجاعته اقتداراً وقوة ... وهو من المستلزمات التي لا يستغني عنها"[٤٠]، فإذا كان النعل سبباً للعجز لأنها تعوق حركة لابسها ، فإن الصبر والحزم مادتان لتشكيل ثياب خاصة تناسب حياة الصعلوك وظروفه ، هنا تظهر مزية الصبر الذي تسلح به الشاعر في قطيعته مع المواضعات القبلية ثم مواجهته لتلك المواضعات لاحقاً ، مما يجعل موالاة الصبر مفخرة لا تعادلها مفخرة في نظر الصعلوك .

إن الشنفرى صعلوك خارج على مواضعات القبيلة ، ولأنه كذلك فقد اتخذ لنفسه سياسة خاصة في تنفيذ تلك الالتزامات ، فراح يبالغ في التخلي عن الملذات من طعام وشراب[٤١] ، واهتمام بالمظهر فروّض نفسه على تحمل تلك الحال ، يقول واصفاً شعره بعد تركه للاغتسال :

(الطويل)

وضَافٍ إذا طارَتْ له الرّيحُ طيّرتْ لبائِدَ عَنْ أعْطافِهِ ، ما تُرَجَّلُ

بعيدٌ بمَسِّ الدُّهْنِ والفَلْيِ عَهْدُهُ له عَبَسٌ عافٍ عن الغِسْلِ مُحْوِلُ[٤٢]

المتأمل في النص يرى أن الشنفرى يباهي بحياة التصعلك التي منعته من الاغتسال حولاً كاملاً (عاف عن الغسل محول) ، فلا يرى غضاضة في ذكر قذارته وثيابه الممزقة (لبائد عن أعطافه ما ترجل) ، حتى تعلقت الأوساخ بشعره تعلق الأقذار بأذناب الإبل ، (بعيد بمس الدهن والفلي عهده ، له عبس عاف ...) هكذا يبدو مظهر الصعلوك المتمرد " نقطة تجمع تدور حولها نظرات الغرابة والتعجب والسخرية من هيئته التي تستدعي النظر بتحولاتها عن المألوف"[٤٣] ، وهو مظهر مناف تماماً لما تقره القبيلة في أبنائها ، وهذا ما تستدعيه هويته المخالفة ، فالثورة عنده تعني المخالفة والتمييز دائماً عن كل ما هو قبلي ، فهو يحاول تكييف التفاصيل الموضوعية التي من وجودها يستمد قوته لمجابهة الحياة ، ولتعريف الآخر بهذا المظهر ، فالهوية المخالفة " هنا صورة أو بطاقة لتعرف الآخر على الذات ... وعلى كل ما يحتاج إلى التحقق من الشخصية"[٤٤] ، فالشنفرى ينطلق من لا شعوره ويحاول أن يقنع نفسه أنه ينتمي إلى وجود إنساني جديد هو نفسه أو شخصيته، وهذا الاقتناع هو نوع من التعويض النفسي عن انتمائه السابق للقبيلة ، فعمد إلى التفوق في ميدان آخر[٤٥] ، لذا سعى إلى إثبات هذا الانتماء إلى ذاته ، ليجد في ظاهرة الصعلكة سبيلاً إلى إعطاء الذات حريتها في التصرف ، وقوة فاعلة تعمل عملها في هذا الاتجاه ، فالذات مغيبة داخل النظام القبلي ، والصعلكة كسر لذلك النظام كما يوضح هذا المخطط :

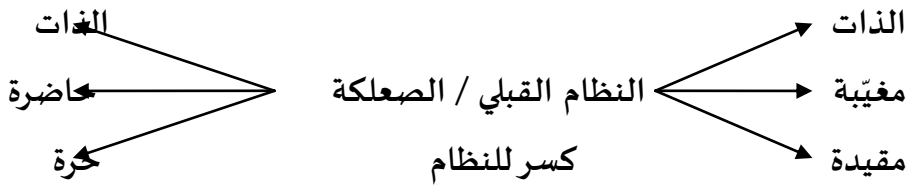

ونتج عن ذلك ظهور " حالة افتراق في التفكير الذي يتحقق لفرد من الأفراد عن طبيعة تفكير مجتمعه حاله موجودة ، وتظل كذلك ، لأن القدرة في الفكر حال قائم ومتحقق وعندما يجد الشاعر نفسه متفقاً في فكره وطموحه الثقافي ، وطبيعة شعره مع مجتمع آخر سرعان ما يدفعه ذلك إلى الاغتراب عن حضارة قومه وطبيعة تفكيرهم ، لاجئاً إلى مجتمع آخر مطابق له في التوجه والتفكير والمعالجة"[٤٦]، فالصعلوك ذو طبيعة واعية وكون صغير ، يستمد قيمته من ذاته ، من الطبيعة التي يعتمد وجوده عليها ، ومن الكون الاجتماعي الذي يؤسس ذاته فيه أنه كونه وعالمه الذي يتجلى باستعادة الماهية الإنسانية وإعادة دمجها بالوجود ، فالهوية هي بمثابة اكتشاف الذات وهي الجذع بالنسبة للشجرة، أي إن هوية الصعلوك هي ثمرة عوامل لا تحصى وهي في الأخير بمثابة اكتشاف الذات[٤٧]، وفي غياب رابط للذات الذي يتمثل بفقدان الهوية تصبح الذات عاصفة هوجاء ، هويتها خارجها تبحث عنها ، تمتد خارج حدودها ، لا تعترف بهويات الآخرين ، وهذا ما تتوق له النفس الحرة في المجتمع الحر بأن تكون متجاوزة للهويات القسرية[٤٨].

إن هذا التجاوز جعله يخرج عن الهوية القبلية ويخالفها ملتجأً إلى عالم الوحوش[٤٩]، وهذه الوحوش ـ على مالها من حضور سلبي في ذهنية النظام القبلي ـ احتفت بالشاعر واحتفى بها ، بعد إن وجد فيها هويته " فالشنفري يختار هويته بتوحده مع الوحوش"[٥٠] كما وجد فيها من الإيجابية ما لم يجده في قومه ، وبعد أن رآها ـ على توحشها ـ أكثر شفقة وحناناً وأقل عذراً ووحشية من المجتمع البشري آنذاك ، فإذا " كانت الرؤيا المركزية للثقافة تتكون وتتجلى في إطار وحدة اجتماعية ـ اقتصادية ـ سياسية محددة هي القبيلة ، من حيث هي بنية كلية متماسكة ، فإن رؤيا الثقافة المضادة تتشكل وتتجلى في مسافة الخروج عن هذه البنية ، في رفض القبيلة ، وخلق فضاء اجتماعي ـ اقتصادي للفعل الإنساني يقع خارج القبيلة "[٥١] .

تجليات الهوية المخالفة في القيم الفنية :

كما أن تمرد الشنفرى على كثير من الثوابت جاء موافقاً لهويته ، مخالفاً لكثير من القيم الفنية المركزية في شعره ، إذ لم يقف على الطلل[٥٢] " لأنه يؤسس الفعل الإنساني باعتباره الخالق المبدع للعالم ولأنه كذلك فإنه يلغي ... الرحلة عبر الصحراء إلى مكان خصب آخر ، ليؤسس زمن البحث عن عالم حاضر ينال هو فيه ، بفعله ، قوته[٥٣] فانقلبت الجملة الأساسية للنص من صيغة عفت الديار إلى صيغة فعلت[٥٤]، كما أنه لم يصرّع في أغلب مطالع قصائده[٥٥]، وكان أغلب شعره على هيئة مقطوعات تتحدث عن موضوع واحد[٥٦] خلاف ما كانت عليه القصيدة الجاهلية المطولة المتمثلة بنموذج المعلقات ، وتعليل ذلك مرده " إلى تلك الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على أوضاع مجتمعهم ، وإلى تلك الحرية ... التي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم . والتي ظهرت آثارها في حياتهم الفنية ، فكان شعرهم ثائراً على الأوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي ، حراً في أوضاعه الفنية[٥٧].

حتى إن هذه المخالفة للنظام القبلي جعلت شعر الشنفرى وغيره يتسم بالندرة والضياع ، لأنه كان بعيداً عن اهتمامات القبيلة ، بل كان مخالفاً لها متحاملاً عليها ، طاعناً في تقاليدها ، الأمر الذي جعل هذا الشعر يضعف وينكر ولا يلتفت إليه أحد[٥٨] ، لأنه " يعني بتصوير شخصيات أصحابه بقدر ما يهمل شخصيات قبائلهم ، وما حاجة القبائل إلى ذلك اللون من الشعر الذي لا يهتم بها في شيء ..."[٥٩]، وبالعودة إلى ذكر أصحابه في شعره يتبين تسيد أصحاب الكفاح أمثال (المسيب بن عمرو بن علس ، عمرو بن كلاب ، ومالك بن الأقرع)[٦٠] وهم رفاقه الصعاليك ، حيث لم يرد عنده ذكر أحد سواهم ، باستثناء أسماء الأعلام الواقعة ضمن (العداوة القتالية) ، مثل (سلامان بن مفرج)[٦١] ومنهم (بنو صعب بن مر)[٦٢] الذين أهانوه ، و(بجيلة) ومنهم (العوص)[٦٣] الذين قتلوا أصحابه الصعاليك ، واعتدوا بذلك على هويته الاجتماعية ، مما يؤدي إلى تعدد الأسماء المقصودة بهذا القتال ممن يقع بينهم الثأر مثل (عبدالله وعوف ، وأسد بن جابر ، وهم من سلامان بن مفرج ويذكر أيضاً يزيد وسعد بن مالك

وهما من بجيلة)[٦٤] ولا يذكر من قبيلته الأزد إلا(الأواس) [٦٥]الفرع الذي ينتمي إليه مباشرة في معرض فخره بوالده فتركيز الشنفري على حضور أصحابه الصعاليك على حساب استبعاد تصوير الشخصية القبلية والاهتمام بها[٦٦]، "يعزز القول باختلاف طبيعة الانتماء عند الصعاليك باختلاف ظروفهم "[٦٧]، ومن شأنه أن يؤكد الانفصال الحاد عن القبيلة .

وهذا الانفصال جعله لم يتوان في الطعن في سلوكيات القبيلة ، فيهجر مجتمعه غير آسف عليه ، فليس في القبيلة ما يحزن لفراقه أو يحتاج إليه أو يشكو إليه حرمانه، ومن ذلك قوله: (الطويل)

وإِنّي كَفَاني فَقْدُ مَنْ لَيْسَ جازِيَاً بِحُسْنَى ولا فِي قُرْبِهِ مُتَعَلَّلُ[٦٨]

إن النص يصرح بالصفات السلبية للفرد القبلي ، فالمفقود ليس فيه منفعة مادية (ليس جازياً بحسنى) ولا معنوية (ليس في قربه متعلل) ، فهو سلبي لا يأسف الشنفرى على فراقه وهذا يرجع إلى أن المجتمع القبلي برأيه هو " سلسلة متصلة من حلقات الظلم والاستغلال والإذلال يجب قطعها جميعاً ... حيال هذه الحالة وفي مثل هذا الواقع الشاذ"[٦٩]، فالجانب الخيري عند المفقود غائب تماماً ، ويفهم ـ ضمناً ـ إن الآخر/ القبلي، مصدر شر على الغريب يصادر حريته ويغتصب كرامته ، ويستبعد الضعيف من قومه أو يبيعه بثمن بخس أو يبادله في أسره بلا رأي ودون أدنى اعتبار له فيعتدي على هويته ، وبعد ذلك يصعقه بحقيقة لونه وأنه دخيل عليهم ، كما حدث للشنفرى ، مما أشعل حالة الصراع بين الصعلوك وقبيلته ، الذي يشتد كلما تجاوز الفرد حدود قبيلته التي اعتنت بتنظيم رغبات الفرد وأهوائه .

وهذا يدل على أن من نعدهم مهمشين ليسوا مجردين من كل القدرة على الفعل ، لأنهم بدورهم يمتلكون هوية مضادة تناسب حجم أرصدتهم ومدى فاعليتها داخل حقل الصراعات[٧٠]، " ففي الوقت الذي يعود الهامشي للانضواء في مجتمعه بالقيام بأعمال نافعة لهذا المجتمع ، يوغل الشنفرى في معاداة مجتمعه بانضوائه في مجتمعه

الجديد"[٧١]، وهو غير مبال بذلك ، ولاسيما أنه لم يكن يخشى الذم ، واللوم في الخروج على أنساق المجتمع السائدة ، كما يقول :

(الطويل)

ولَوْلا اجْتِنابُ الذَّأْمِ لَمْ يُلْفَ مَشْرَبٌ يُعـاشُ بِهِ إلاّ لَـدَيَّ وَمَأْكَـلُ

ولكِـنْ نَفْسـاً مُـرَّةً لا تُقيمُ بـي على الـذامِ إلاّ رَيْثما أَتَحـَوَّلُ[٧٢]

إن الشاعر بارع في إيصال موقفه ، عبر ألفاظ نافذة ، فيصف نفسه بـ(المرة) التي تدل على " الـنفس الأبيـة الجامحـة التي لا تقبـل الاستسـلام ولا الخضـوع"[٧٣]، بـديلاً عـن (حرة) ، فقامت هذه اللفظة بما لا يمكن لبديلها القيام به ، إذ المرارة تجمع بين السبب وما يترتب عليه ، فهي مرة صارمة عنيفة أبية في قبول مرارة الظلم والتجاوز والذل ، وقادرة على تحمل مرارة موقف التحول والانفصال .

وهذا يكشف عن وعي الصعلوك وتصوره الجديد ، للنظام القبلي بعد أن كان وحدة متجانسة متلاحمة ، في نصوص جاهلية كثيرة تنتمي للثقافة القبلية ، أصبحت في نظر الصعلوك تركيباً تشرخه التناقضات الحادة ، وفاقداً للتجانس والتلاحم ، وهذا الوعي ينشأ من تأمل (أنا) أخرى واعية داخل الهوية ، تفكر فيها وتصوغ ملامحها ، لتصوغ منها (ذاتاً) في إطار علاقتها بالآخر، إذ تبدأ (الأنا) بالتفكير فيما يجب أن تكون عليه ، ثم تنتقل إلى الفعل في طريق بناء الذات ، لتنتهي ببلورة الهوية المخالفة ، المعبرة عن هذه (الأنا) الجديدة المتمردة[٧٤]، والتي تتخذ من تداعيات الصراع الداخلي مادتها لإثبات هويتها .

هذا الصراع بين المركز/ القبيلة والهامش/ الصعلوك ، مثلما أنتج قيماً متضادة ، حرك ـ أيضا ـ رموز الأشياء ، فأصبح بعضها يحمل عند الهامش معنى مناقضاً مخالفاً لما في ثقافة المتن ، فبعد أن كانت المرأة نسقاً هامشياً يتسم بالضعف والتدني في ثقافة القبيلة ، أصبحت في ثقافة الصعلوك مركزاً وقائداً يتسم بالقوة والتضحية في سبيل الرفاق ، ومن ذلك قوله : (الطويل)

وَأُمُّ عِيالٍ قَدْ شَهِـدْتُ تَقوتُهُـمْ إذا أَطْعَمَتْهُـمْ أوتَحَـتْ وأَقَلَّـتِ

تَخافُ عَلَيْنا العَيْلَ إنْ هِيَ أَكْثَرَتْ وَنَحْـنُ جَيـاعٌ أيَّ آلٍ تَـأَلَّـتِ

مُصَعْلِكَةٌ لاّ يَقْصِرُ السِّتْرُ دونَـها ولا تُرْتَجى لِلْبَيْتِ إنْ لَـمْ تُبَيِّـتِ
لَهـا وَفضَةٌ فيـها ثَلاثونَ سَيْحَـفاً إذا آنسَـتْ أوْلَى العديّ اقشَعَرَّتِ
وتَأْتِي العَـدِيَّ بارِزاً نِصْفُ ساقِها تَجُـولُ كَعَـيْرِ العانَةِ المُتَفَـلِّتِ
إذا فَزِعُـوا طارَتْ بأبْيَضَ صـارِمٍ ورامَتْ بما في جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ[٧٥]

المتأمل في هذا المشهد ، يرى عالماً آخر ، مختلفاً عن العالم القبلي ، فالرؤيا الشعرية صنعت منه كائناً مزيجاً من الفحولية الذكورية والحنان الأمومي ، فبعد أن كانت المرأة تشكل قيماً سلبية في الثقافة القبلية ، أصبحت في ثقافة الصعلوك امرأة عاملة ذات قيمة ايجابية في الحياة ، فهي ذات مركزية فاعلة بطولية لا متناهية ، وامرأة فحولية تحمل رسالة هادفة همها إنقاذ من ينتمي إلى فكرها وأعرافها من الفقر والموت ، من خلال تركيزها على ثقافة العمل وثقافة الموت ، ولعل تركيز الشاعر على (أم عيال ، تخاف علينا العيل ...) يدل على حضور الإنسان الفادي الذي يخلص من ينتمون إليه من عقدة الخوف وسلطة الزمن [٧٦]، ونموذج (أم عيال) تشكل مفتاحاً نسقياً يحيل إلى عالم الصعلكة ، ويكشف عن علاقة حميمة بين الأم/ الصعلوك وأبنائها الصعاليك ، فهي أم رؤوم توظف عقلها لصنع سياسة حكيمة تحي فاعلية الإنسان (أي آل تألت) القائمة على مجابهة خطرين مرتبطين بالزمن : هما الجوع والأعداء ، وهما خطران أغفلتهما القبيلة حين جعلت أفرادها عرضة للتشرد والهلاك ، وقد طغى الحضور الأنثوي على هيئة هذا الكائن (أم عيال) الإنسان الجديد ، واختفى الذّكر ، على الرغم من أن (أم عيال) تشير إلى صديقه تأبط شراً ، فإن هذه النمذجة للذكوري المتصعلك بهيئة الأنثى ، يؤكد قدرة الشنفرى على توليد أنساقه وتفعيلها[٧٧] بعد أن انتقلت صفاته الإيجابية إلى الأنثى/ الأم المصعلكة ، فكأن المتمرد لم ينقل الصعلوك إلى الصف المضاد للقبيلة ، ويقف به عند هذا الحد ، بل حوله إلى منتج صعلوكي ، ينشده هؤلاء المتمردون " بوصفها نظاماً اجتماعياً متمرداً على سلطة القبيلة"[٧٨] .

ويفصح الشنفرى عن هويتها العاملة عندما يصفها بـ (مصعلكة) ، لأن الصفات الذكورية التي تمتلكها تؤهلها لذلك ، ومكنتها من تأسيس نظام أخلاقي للصعلكة متماهي

بين (الأم/ الصعلوك/الحاكم ، والعيال/ الصعاليك) ، في سياسة واضحة لأفرادها غير معمية (لا يقصر الستر دونها) ، على عكس سياسة الطبقية والتحيز التي كانت سائدة في النظام القبلي ، كما تمتاز بالفعل البطولي فهي في حالة تأهب دائمة للقتال (إذا فزعوا طارت بأبيض صارم ...) من أجل حماية الصعاليك وكرامتهم ، وبهذا فإن (أم عيال) امرأة فحولية منقذة لا تنقصها الغيرة الصادقة على أبنائها ، وفوق ذلك فإنها قادرة على أن تمنح من ينتمون إليها الحماية والشعور بالطمأنينة والأمان ، لذا فقد " حملت صورة (أم عيال) في رؤية الشنفري بعدين إنسانيين متلازمين : أحدهما أمومي / أنثوي نلمح فيه قيم العطف والتعاون التي تسود عالم الصعلكة ، والآخر بعد رجولي تتعزز فيه ملامح التضحية والفداء"[٧٩]، وبذلك خالف الشنفرى النظام القبلي في رؤيته للقيادة الحلم التي يتوق إلى تحققها والتي يذعن إليها طائعاً ، وينضوي تحت رايتها ، وهذا التعبير يمثل للشنفري المناخ الذي وجدت فيه الذات المقموعة والمغيبة الفرصة المواتية للتعبير عن هويتها والمطالبة بحقها في الوجود[٨٠]، الذي غيبته الأنساق والعادات القبلية ، ذلك أن الإنسان بقدر ما يتمثل للعادات وتوقعات الآخرين ، فإن وجوده يكون وجوداً مزيفاً ، أي انه شخص آخر لا نفسه هو ، بل هو مرآة تعكس عادات المجتمع المهيمن عليه وأعرافه ، أما إذا اختار الشخص وجوده وأقره بنفسه ووعى واقعه ، وعرض نفسه للأزمات والمخاطر واخترق عالمها ، وصنع قراراته بنفسه بمخالفة التقاليد والأنساق المتبعة ، فإن وجوده يكون حقيقياً متحرراً من كل القيود وأنواع الاستلاب[٨١].

واللافت للنظر إن الشنفرى حتى في الرمق الأخير يعلن استغناءه عن قومه حياً وميتاً ، فيخالف الفطرة والقيم القبلية، ويرفض أن يدفن في قبر، كما يدفن سائر البشر ، فقد جاء في خبر مقتله أن بني سلامان لما أسروه ، وقطعوا بعض أعضائه سألوه أين نقبرك؟ ، فقال[٨٢]:

(الطويل)

لا تَقْبُروني إنّ قَبْـرِيَ مُحَـرَّمٌ عَلَيْكُمْ ولَكِـنْ أَبْشِري أُمَّ عامِـرِ
إذا احْتَمَلوا رَأْسي وفي الرأس أَكْثِري وَغُودِر عِنْـدَ المُلْتَقَى ثُـمَّ سائِـري
هُنالِكَ لا أَرْجُو حَيـاةً تَسُـرُّني سَجيسَ اللَّيالي مُبْسِلاً بِالجَرائِرِ

لَقُلْتُ لَها قَدْ كانَ ذلك مَـــرَّةً وَلَسْتُ على ما قَدْ عَهِدتِ بِقادِرِ[٨٣]

يخاطب الشنفرى الضبع (أم عامر) مبشراً لها بطعام شهي (أبشري) ، حتى لا يعود إلى الأرض التي دفن تحتها أبناء القبيلة مذعناً ذليلاً لطقوسها الملزمة التي رفضها جملة وتفصيلاً ، وهو إلى جانب ذلك يعتقد " أن الضباع خير من أعدائه الذين يحرصون على أن يحملوا رأسه يشفون بها صدورهم وصدور أهليهم ، ثم يتركوا جسده في المكان الذي لا قوه فيه"[٨٤]، وما ذاك التفضيل للضباع إلا رغبة منه في أن " تظل رفاته في أجساد الضباع لكي تستمر حلقة الانتقام بعد وفاته"[٨٥]، فهو متوثب ويريد أن يظل متوثباً ولو في معدة وحش مشغوف بتدمير أجساد البشر ، ولأن الموت كان اختياره منذ البداية[٨٦]، فقد بلغ أقصى درجات الإستهانه والإستخفاف به وبطقوس القبيلة الخاصة به من دفن وغيره، كما أنه يريد التأكيد لمجتمعه بثورته على قيمهم . رغبةً في تحقيق هويته المخالفة ـ إلى آخر نفس من أنفاسه .

وهكذا انتهت حياته في العراء على طريق التمرد باختلاف لا يقلل أبداً من عظمة الإرادة التي شاء لها حظها ألا يتحقق لها وجودها الحقيقي وهويتها المخالفة إلا من خلال هذا التدمير الذي لحق بذواتهم .

وصفوة القول إن الشنفرى صعلوك مخالف لقبيلته وخارج عنها ، يحمل إزاءها أكثر من الثورة والعداء المطلق ، لقد قطع بالتمايز منها ومعاداتها ، كل رابطة ، وخلق لنفسه مجتمعه الحقيقي أو المتوهم ، ولم يتسنَ له ذلك إلا بالتخفيف من كل ما يثقل على الإنسان من نسيان مناعم الحياة والعيش الهادئ ، واعتمد في انفصاله هذا على فرديته المتفجرة وشدة بأسه وعدم هيبته الموت .

وفي الختام لقد كشف الشنفرى عن حياته وحياة طائفة الصعاليك من خلال خطابه المضاد للنظام القبلي ، الذي عبر فيه عن فلسفته في الحياة ، وهي فلسفة تحمل قيماً فردية يراها حقاً شرعياً لا دخل للقبيلة فيه ، فاصطدم بتلك الحواجز التي تحول دون تحقيق هويته فثار على تلك القيم وخالفها ، لينشئ في ضوء ذلك قيماً جديدة تناهضها القبيلة وتعمل على إزالتها ، إذ تعدّها خروجاً عن المألوف ، في حين يراها الشنفرى وسيلة لإثبات الذات وإعلان هويته المخالفة للمجتمع القبلي .

الخاتمة

- يعد الشنفرى صعلوكا خارجا على الثوابت القبلية متخذا لنفسه التزامات خاصة رسمت الخطوط الرئيسة لهويته المخالفة اذ استطاع التمرد على تلك الأنساق التي وضعتها وتعارفت عليها الثقافة القبلية ، معلنا العصيان والخروج عليها ومن ثم قام بأرساء قيم جديدة تنسجم مع تلك الحرية التي يصبو اليها.

- ان الهوية التي اكتسبها الشنفرى هي هوية مخالفة تمثل انفصاله الكلي عن الهوية القبلية وذلك بعد ان تأجج الصراع بينه وبين القبيلة فوصل الى حد الانتقام والصراع المسلح لذا قام بمحاولة نسف لكل اعرافها وتقاليدها .

- اسس الشنفرى هويته المخالفة من خلال المقابلة بين الانا الصعلوكي المهمش / والاخر القبلي الذي يمثل المركز.

- ان شخصية الشنفرى المخالفة المتمردة عارضت اشكال السلطة القبلية ومثلت في الوقت ذاته سلطة قائمة بذاتها اذ قام بمخالفة القيم الفنية ايضا فلم يقف عند طلل ولم يصرع في مستهل قصيدته فضلا عن اعتماده على المقطوعات ، وبهذا فان المخالفة والتمرد قد ظهرا على حياته الفنية والعملية على حد سواء .

الهوامش :-

(١) الهوية ، إليكس ميكشيللي : ٩٩

(٢) ينظر: نفسه : ٤٤ ، والهوية والاختلاف : ٢٨ ، وتمثيلات الآخر: ٥٨ ، والبطل الضد : ٥٤٨

(٣) ينظر : الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفري أنموذجاً) ، حرشاوي جمال ، اطروحة دكتوراه كلية الآداب والفنون قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة وهران . الجمهورية الجزائرية ، ٢٠٠٦ : ٩٧ ، ومدارات المنفتح والمنغلق في التشكلات الدلالية والتاريخية لمفهوم الهوية : ٢٣٥

(٤) الإرادة عند المراهقين وعلاقتها بجنسهم ، وتحقيق الهوية ونمط المعاملة الوالديه ، سفيان صائب سلمان ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، قسم علم النفس التربوي ، ٢٠٠٤ : ١٩٣

(٥) المركز والهامش في شعر الصعاليك السابقين للإسلام : ١٩

(٦) ينظر : الأغاني : ١٧٩/٢١ ، والشعراء الصعاليك : ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ، وشعر الصعاليك منهجه وخصائصه : ٧٤ ـ ٧٥ وديوانه : ١٠ ـ ١١

(٧) القبيلة في الشعر العربي قبل الإسلام : ٢١٨

(٨) ديوانه : ٥٨

(٩) ينظر: ديوانه : ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٥ ، ٨٧

(١٠) ومن القيم التي حافظ عليها العرب تحريم القتال في الأشهر الحرم ، وكذلك منعه في المكان المحرم (مكة) حتى أن هذا المنع في حكم المجمع عليه ، الذي يحظر التحلل منه . ينظر: الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي : ٤٩ ، الأغاني : ٢١/ ١٣٨ ، ١٦٠ ، والشعراء الصعاليك : ١٩٣

(١١) ينظر: ديوانه : ١٢٤

(١٢) الأغاني : ٢١/ ١٨٤

(١٣) ديوانه : ٣٧ ، حزام : هو حزام بن جابر قاتل والد الشنفري ، والمحرم : الداخل في الحرم ، وقوله : بملبد ، إشارة إلى عادة العرب في العصر الجاهلي بدهن شعورهم بشيء من الصمغ للتلبد ، والمصوت : الذي يجهر بصوته في الدعاء ونحوه ، والجمار: الحصى التي يرمي بها الحاج في منى ، ومنى : مكان في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي منه الجمار من الحرم . سلامان بن

مفرج : بطن من الأزد ، وهم بنو عم الشنفري ، وقيل : كانوا قتلوا أباه . وأزلت : قدمت ، قرضها : من قولهم (العوارف عند الناس قروض) .

(١٤) لأن لهذا الزمن دلالة مقدسة عند العرب لأنه يجعل من الكعبة أو الصنم مركزاً يدور حوله الإنسان سعياً نحو النجاة وأمناً من الشرور ينظر : الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية : ٢٠٢

(١٥) بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز : ٢٥١

(١٦) ينظر : لغة الشعر عند الصعاليك قبل الإسلام : ٣٣.٢٢ ، ١٩٠

(١٧) ينظر : الهوية والعنف (دور الهوية في إنتاج العنف) ، علاء السعيدي ، مجلة رؤى ثقافية ، ع صفر- كانون الثاني ٢٠١٠ : ٦٩ - ٧٠

(١٨) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه : ٢٩١

(١٩) بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز : ٢٥١

(٢٠) البطل الضد : ٥٤٩

(٢١) ديوانه : ٥٥ ، جار : أجار ، الأقيصر : تصغير (أقصر) وهو اسم صنم ، وقوله : وأثواب الأقيصر ، قسم بثيابه وبما يعلق عليه من ثياب للنذور .

(٢٢) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة : ٢١٧

(٢٣) ينظر : المجتمع المدني هوية الاختلاف : ١٥٥ - ١٥٦ ، ٢٠٥ ، والقبيلة والقبائلية : ٦٠

(٢٤) ديوانه : ٦١ - ٦٢ ، المهياف : الذي يبعد بإبله طالباً المرعى على غير علم ، فيعطش . السوام : الماشية التي ترعى . مجدعه : سيئة الغذاء ، السقبان : جمع سقب وهو ولد الناقة الذكر . بهل : جمع باهل وباهلة وهي التي لا صرار عليها (الصرار) : ما يصر به ضرع الناقة لئلا ترضع ، يقول : لست كالراعي الأحمق الذي لا يحسن تغذية سوامه ، فيعود عشاءً وأولادها جائعة رغم أنها مصرورة ، وجوع أولادها كناية عن جوعها هي ، لأنها من جوعها ، لا لبن فيها ، فيتغذى أولادها منه . الجبأ : الجبان . والأكهى : الكدر الأخلاق الذي لاخير فيه ، والبليد . مرب : مقيم ملازم . عرسه : امرأته ، وملازمة الزوج يدل على الكسل والانصراف عن الكسب والتماس الرزق . وفي هذا البيت ينفي الشاعر عن نفسه الجبن ، وسوء الخلق ، والكسل . كما ينفي أن يكون منعدم الرأي والشخصية فيعتمد على رأي زوجه ومشورتها . الخرق : ذو الوحشة من الخوف أو الحياء والمراد هنا الخوف ، والهيق : الظليم (ذكر النعام) ، ويعرف بشدة نفوره

وخوفه . والمكاء : ضرب من الطيور . والمعنى : لست ممن يخاف فيقلقل فؤاده ويصبح كأنه معلق في طائر يعلو به وينخفض . الخالف : الذي لا خير فيه ، والداري والدارية : المقيم في داره لا يبرحها . المتغزل : المتفرغ لمغازلة النساء . يروح : يسير في الرواح . وهو اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل . يغدو : يسير في الغداة ، وهو الوقت من الصباح إلى الظهر ، والداهن : الذي يتزين بدهن نفسه . يتكحل : يضع الكحل على عينه . والمعنى : أن الشاعر ينفي عن نفسه الكسل ، ومغازلة النساء ، والتشبه بهن والتكحل ، وهو يثبت لنفسه ضمناً الرجولة . العل : الذي لا خير عنده ، والصغير الجسم يشبه القرد . ألف : عاجز ضعيف ، رعته : أخفته ، اهتاج : خاف . الأعزل : الذي لاسلاح لديه . المحيار : المتحير . انتحت : قصدت واعترضت . الهدى : الهداية ، والمقصود : هداية الطريق في الصحراء ، الهوجل : الرجل الطويل الذي فيه حمق . العسيف : الماشي على غير هدى . اليهماء : الصحراء . الهوجل : الشديد المسلك المهول ، وفي البيت تقديم وتأخير والأصل : لست بمحيار الظلام إذا انتحت يهماء هوجل هدى الهوجل العسيف والمعنى : لا أتحير في الوقت الذي يتحير فيه غيري . الأمعز : المكان الصلب الكثير الحصى . الصوان : الحجار الملس ، المناسم : جمع منسم وهو خف البعير ، شبه قدمه بأخفاف الأبل . القادح : الذي تخرج النار من قدمه . مفلل : متكسر . المعنى : أنه حين يعدو تتطاير الحجارة الصغيرة من حول قدميه ، فيضرب بعضها بحجارة أخرى ، فيتطاير شرر نار وتتكسر .

(٢٥) الهوية ، إليكس ميكشيللي : ٨٢

(٢٦) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة : ٢٣٢

(٢٧) بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز : ٢١٧

(٢٨) الهوية والإختلاف : ٣٢

(٢٩) الهوية ، إليكس ميكشيللي : ٦١ . ٦٢

(٣٠) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة : ٢٢٠

(٣١) جدلية القيم في الشعر الجاهلي : ٧٨

(٣٢) ينظر : المجتمع المدني هوية الاختلاف : ٦٩ ، ١٨٥

(٣٣) ديوانه : ٤٦ ، الأشلاء : جمع شلو وهو العضو والقطعة من اللحم ، السماني : نوع من الطيور التي ترحل من مكان إلى آخر ، المور : الطريق الموطوء المستوى ، النخيزة : القطعة الخشنة من الأرض . الأغبر : ما كان لونه الغبرة . وهي لون الغبار .

[٣٤] نفسه : ٧٢ ، الخرق : الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح ، كظهر الترس : يعني أنها مستوية ، قفر : خالية ، مقفرة ليس بها أحد ، العاملتان : رجلاه ، ليس يعمل : ليس مما تعمل فيها الركاب .

[٣٥] نفسه : ٦٨ ، ابنة الرمل : الحية ، وقيل : هي البقرة الوحشية ، ضاحياً : بارزاً للحر والقر ، رقة : يريد رقة الحال وهي الفقر ، وأحفى : وهو عدم لبس النعل .

[٣٦] شعرية الهوية ونقض فكرة الأصل : ٣٢٥

[٣٧] ينظر : القبيلة والقبائلية : ٦٠

[٣٨] ففي أخباره أنه " كان يغير على الأزد على رجليه فيمن معه من فهم " الأغاني : ٢١/ ١٨٠ ، والشعراء الصعاليك : ٥٢

[٣٩] ديوانه : ٦٩ ، مولى الصبر: وليه ، اجتاب : أقطع ، البز: الثياب ، السمع : ولد الذئب من الضبع ، أنعل : أتخذه نعلاً . يقول : انه صبور ، شجاع ، حازم .

[٤٠] الصبر والجزع بين المثير والاستجابة في شعر ما قبل الإسلام ، رجاء لازم رمضان ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب . جامعة بغداد ، ٢٠٠٤ : ٤٣

[٤١] ينظر: ديوانه : ٦٢ . ٦٤

[٤٢] ديوانه : ٧٢ ، الضافي : السابغ المسترسل ، ويعني شعره . اللبائد : جمع اللبيدة ، وهي الشعر المتراكب بين كتفيه ، المتلبد لا يغسل ولا يمشط ، الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب . ترجل : تسرح وتمشط ، والمعنى أنه لا يستر وجهه وجسمه إلا الثوب الممزق ، وشعر رأسه لأنه سابغ . إذا هبت الريح لا تفرقه لأنه ليس بمسرح ، فقد تلبد واتسخ لأنه في قفر ولا أدوات لديه لتسريحه والعناية به . بعيد بمس الدهن والفلي : أي منذ زمن بعيد لم يعرف الدهن والفلي ، الفلي : اخراج الحشرات من الشعر ، العبس ما يتعلق بأذناب الإبل والضأن من الروث والبول فيجف عليها ، ويصبح وسخاً ، عافٍ : كثير . محول : أتى عليه الحول (سنة) والأصل : محول من الغسل . والبيت بكامله وصف لشعره .

[٤٣] ظاهرة الخوف في أشعار اللصوص في العصر الجاهلي وحتى آخر العصر الأموي : ١٤٩

[٤٤] الهوية ، حسن حنفي : ٨١

[٤٥] ينظر: مقالات في الشعر الجاهلي : ٢٢٠ ، وظاهرة القلق : ٢٦

[٤٦] نقد الشعر من المنظور النفسي : ٢١٨

(٤٧) ينظر: المجتمع المدني هوية الاختلاف : ١١٠ ، التشكيل المعاصر في العراق ، الهوية الفنية إشكالية التنوع : ١١١

(٤٨) ينظر: الهوية ، حسن حنفي : ٥٧ ، والقبيلة والقبائلية : ٥٧

(٤٩) ينظر: ديوانه : ٥٩

(٥٠) بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية الأسطورة والرمز: ٢١٦

(٥١) الرؤى المقنعة : ٥٧٥

(٥٢) على عكس زميليه (السليك بن السلكه وتأبط شراً) " إذ نعثر ببيتين مفردين أحدهما للسليك في لسان العرب ، والآخر لتأبط شراً في معجم البكري ... يظهر عليهما طابع المقدمات الطللية التي نعرفها في الشعر التقليدي" الشعراء الصعاليك : ٢٧٣

(٥٣) الرؤى المقنعة : ٥٨١ ـ ٥٨٢

(٥٤) ينظر: نفسه : ٥٨٦

(٥٥) في كل شعره عدا قصيدته التائية المفضلية . ينظر: ديوانه : ٣١ ، والشعراء الصعاليك : ٢٧٥

(٥٦) وهذه الوحدة موجودة ـ غالباً ـ في شعر سائر الصعاليك ولكنها لم تكن على هذا النحو من التماسك الذي وجدناه في شعر الشنفري . ينظر: ديوانه : ٢٧ ـ ٧٩ ، وشعر الصعاليك منهجه وخصائصه : ٣٩٢ ـ ٣٩٣

(٥٧) الشعراء الصعاليك : ٢٧٤

(٥٨) ينظر: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفري أنموذجا) : ٩٣

(٥٩) الشعراء الصعاليك : ١٥٤

(٦٠) ينظر: ديوانه : ٥٧

(٦١) ينظر: نفسه : ٣٧ ، ٤٢

(٦٢) ينظر: نفسه : ٤٧

(٦٣) ينظر: نفسه : ٢٨ ، ٥٧

(٦٤) ينظر: نفسه : ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٧

(٦٥) ينظر: نفسه : ٤١ ، ٧٨

[٦٦] ينظر: تفصيل أكثر في هذه القضية : الأغاني : ٢١/ ١٦٣ ، ١٧٩ . ١٨٠ ، ١٩١ ، والبطل الضد : ١٤٥ . ١٥٥ والشعراء الصعاليك : ٣٣٤ . ٣٣٦

[٦٧] البطل الضد : ١٤٥

[٦٨] ديوانه : ٦٠ ، التعلل : التلهي ، والمعنى : ليس في قربه سلوى لي ، يريد : أني فقدت أهلاً لا خير فيهم ، لأنهم لا يقدرون المعروف ، ولا يجزون عليه ، وليس في قربهم أدنى خير يتعلل به .

[٦٩] الشعر الجاهلي وأثره في تغيير الواقع : قراءة في اتجاهات الشعر المعارض ، د. علي سليمان . منشورات وزارة الثقافة السورية . دمشق ط١ ، ٢٠٠٠ : ٢٥٤

[٧٠] ينظر: التهميش والمهمشون في المدينة المعاصرة : ١٩٦

[٧١] بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية ، الأسطورة والرمز: ٢٢٢

[٧٢] ديوانه : ٦٣ ، الذأم والذام : العيب الذي يذم به ، يلفى : يوجد ، والمعنى : لولا تجنبي ما أذم به لحصلت على ما أريده من مأكل ومشرب بطرق غير كريمة . مرة : صعبة أبية ، الذام : العيب ، وفي هذا البيت استدراك ، فبعد أن ذكر الشاعر أن لولا اجتناب الذم لحصل على ما يريد من مأكل ومشرب ، قال أن نفسه لا تقبل العيب قط .

[٧٣] القبيلة والقبائلية : ١٦٨

[٧٤] ينظر: الرؤى المقنعة : ٥٨٧ ، وثنائية الأنا والآخر الصعاليك والمجتمع الجاهلي : ١٧١

[٧٥] ديوانه : ٣٥ . ٣٦ ، أم عيال : تأبط شراً ، أوتحت : أعطت عطاءً قليلاً ، وفي البيت يشير الشاعر إلى أنه وصحبه قد جعلوا طعامهم في يدي تأبط شراً ، فكان يقتر عليهم مخافة أن تطول الغزاة بهم ، فينفذ الزاد ، فيموتوا جوعاً ، العيل : الفقر وأي آل تألت : أي سياسة ساست ، مصعلكة : صاحب صعاليك ، لا يقصر الستر دونها : لا يغطي أمرها ، فهي مكشوفة . ومعنى العجز : لا ترتجي أن تكون مقيمة إلا أن تريد هي ذلك ، أو إن لم تبن بيتاً . الوفضة : الجعبة ، السيحف : السهم العريض النصل ، آنست : احست وأبصرت ، العدي : جماعة القوم يعدون للقتال ، اقشعرت : تهيأت للقتال . بارزاً نصف ساقها : متشمرة جادة ، العير : الحمار البري ، والعانة : الأتان (أنثى الحمار) والحمار أغير ما يكون فهو يلتفت إلى الحمير يطردها عن أتانه . طارت بأبيض صارم : وثبت بسيف قاطع ، والجفر: الكنانة ، يقول : يرمي بما في كنانته ثم يجالد بسيفه .

[٧٦] ينظر: النسق الثقافي (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم) : ١٥٣ . ١٥٥

(٧٧) ينظر: النسق الثقافي (قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم) : ١٥٦

(٧٨) نفسه : ١٥٥

(٧٩) نفسه : ١٥٨

(٨٠) ينظر: التهميش والمهمشون في المدينة المعاصرة : ١٨٣

(٨١) ينظر: الإغتراب في الثقافة العربية (متاهات الإنسان بين الحلم والواقع) : حليم بركات : ٤٦ ـ ٤٧

(٨٢) ينظر: الأغاني : ٢١/ ١٨٢

(٨٣) ديوانه : ٤٨ ـ ٤٩ ، أم عامر : كنية الضبع ، ومعني العجز : ولكن دعوني للتي يقال لها : أبشري : إذا صيدت ، سجيس الليالي وسميرها : طولها ، بمعنى : لا أفعله أبداً ، مبسل : مسلم ، والجرائر : الذنوب ، والجرائم ، وقوله (مبسلاً بالجرائر) يعني أنه أسلم إلى عدوه بما جنى عليهم .

(٨٤) شعر الصعاليك منهجه وخصائصه : ٢٧٠

(٨٥) دراسات تحليلية في الشعر القديم ، ثناء أنس الوجود ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة ، ٢٠٠٠ : ١٤٧

(٨٦) ينظر: ديوانه : ٣٨

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الكتب العربية والمترجمة

- الاغاني ، لأبي الفرج الاصفهاني ، تحقيق عبد الكريم ابراهيم العزباوي ، محمود محمد غنيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ، ١٩٩٣
- الاغتراب في الثقافة العربية (متاهات الانسان بين الحلم والواقع) د. حليم بركات ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦.
- البطل الضد في شعر الصعاليك ، هند عبد الرزاق المطيري ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط١ ٢٠١٥
- بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية ، الاسطورة والرمز ، عمر عبد العزيز السيف ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ط١ ٢٠٠٩
- تمثيلات الآخر (صورة الاسود في المتخيل العربي الوسيط) ، د.نادر كاظم ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٤
- جدلية القيم في الشعر الجاهلي ، (رؤية نقدية معاصرة) ، د. بو جمعة بو بعيو ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠١
- دراسات تحليلية في الشعر القديم ، ثناء انس الوجود ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠
- ديوان الشنفرى ، جمعه وحققه د. اميل بديع يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ١٩٩٦
- الرؤى المقنعة ، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي ، كمال ابو ديب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١ ١٩٨٦
- الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية ، د. كريم الوائلي ، دار وائل ، الاردن ، ط ٢٠٠٨
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، د. يوسف خليف ، مركز الدراسات الادبية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣
- شعر الصعاليك منهجه وخصائصه ، د.عبد الحليم حنفي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧

- الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي ، د. عفيف عبد الرحمن ، دار الاندلس ، بيروت ، ط١ ١٩٨٤
- ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ، احمد الخليل ، دار طلاس ، دمشق ، ط١ ١٩٨٩
- القبيلة والقبائلية او هويات مابعد الحداثة ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠١٣
- لسانيات الخطاب وانساق الثقافة ، د.عبد الفتاح احمد يوسف ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف ، ط١ ٢٠١٠
- المجتمع المدني ، هوية الاختلاف ، جاد عبد الكريم الجباعي ، النايا للدراسات والنشر ، دمشق ، ط١ ٢٠١١
- مقالات في الشعر الجاهلي ، د. يوسف اليوسف ، دار الحقائق ، بيروت .
- نقد الشعر من المنظور النفسي ، ريكان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١ ١٩٨٩
- النسق الثقافي (قراءة ثقافية في انساق الشعر العربي القديم) ، د. يوسف عليمات ، عالم الكتب ، عمان ، ط١ ،٢٠٠٩
- الهوية ، اليكس ميكشللي ، ترجمة د. علي وطفة ، دار الوسيم ، دمشق ، ط١، ١٩٩٣
- الهوية ، حسن حنفي ، المجلس الاعلى للثقافة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠١٢

الرسائل والاطاريح

- الإرادة عند المراهقين وعلاقتها بجنسهم ، وتحقيق الهوية ونمط المعاملة الوالدية ، سفيان صائب سلمان ، اطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد ، قسم علم النفس التربوي ، ٢٠٠٤
- الخصائص الاسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى انموذجا) ، حرشاوي جمال ، اطروحة دكتوراه كلية الاداب والفنون ، جامعة وهران ، الجزائر ، ٢٠٠٦
- الصبر بين المثير والاستجابة في شعر ما قبل الإسلام ، رجاء لازم رمضان ، اطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٤.
- ظاهرة الخوف في اشعار اللصوص في العصر الجاهلي وحتى آخر العصر الاموي ، سعد عبد الرحمن العريفي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ٢٠٠٩
- القبيلة في الشعر العربي قبل الاسلام ، احمد اسماعيل النعيمي ، رسالة ماجستير ، الجامعة المستنصرية ، ١٩٨٥

- المركز والهامش في شعر الصعاليك السابق للاسلام ، سفيان زدادقة ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر المركزية ، ١٩٩٩.

البحوث والدراسات

- التشكيل المعاصر في العراق ، الهوية الفنية واشكالية التنوع ، عادل كامل ، مجلة افاق عربية ، تشرين الثاني ، السنة ١٧ ، ١٩٩٢

- التهميش والمهمشون في المدينة العربية المعاصرة (رؤية تحليلية من منظور بنيوي) عمر الزعفوري ، مجلة عالم الفكر ، مجلة دورية محكمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ، ع٤، المجلد ٣٦، ابريل ـ يونيو ٢٠٠٨.

- ثنائية الانا والآخر ، الصعاليك والمجتمع الجاهلي ، عبد بن محمد طاهر تريسي ، مجلة التراث العربي ، العدد المزدوج ١٢٠-١٢١ ، كانون الثاني ، نيسان ، ٢٠١١، السنة٣٠

- شعرية الهوية ونقض فكرة الاصل (الانا بوصفها انا اخرى) ، د.علاء عبد الهادي ، مجلة عالم الفكر ، ع١ ، مجلد١٦ ، سبتمبر ، ٢٠٠٧

- مدارات المنفتح والمنغلق في التشكيلات الدلالية والتأريخية لمفهوم الهوية ، آراق سعيد ، عالم الفكر ، ع٤ ، مجلد ٣٦ ، ابريل ،٢٠٠٨

- الهوية والعنف (دور الهوية في انتاج العنف) ، علاء السعيدي ، مجلة رؤى ثقافية ، العدد صفر كانون الثاني ، ٢٠١٠